

تفسير البحر المحيط

@ 303 @ وقال قوم : إنما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يخلقه ، فالسجود امتثال لأمر الله ، والسجود له ، قاله مقاتل ، والقرآن يرد هذا القول . وقال قوم : كان سجود الملائكة مرتين . قيل : والإجماع يرد هذا القول ، والظاهر أن السجود هو بالجبهة لقوله : { فَإِذْ ذَاكَ سَوَّيْنَاهُ وَنَزَفْنَا مِنْهُ حَمِيمًا وَرَوَّيْنَا مِنْ رُوحِنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا لَعْنَةُ سَاجِدِينَ } . وقيل : لا دليل في ذلك ، لأن الجاثي على ركبتيه واقع ، وأن السجود كان لآدم على سبيل التكرمة ، وقال بعضهم : السجود في موضع الجبهة ، وللشعر بالانحناء ، انتهى . ويجوز أن يكون السجود في ذلك الوقت للبشر غير محرم ، وقد نقل أن السجود كان في شريعة من قبلنا هو التحية ، ونسخ ذلك في الإسلام . وقيل : كان السجود لغير الله جائزاً إلى زمن يعقوب ، ثم نسخ ، وقال الأكثرون : لم ينسخ إلى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم) . وروي أنه صلى الله عليه وسلم) قال في حديث عرض عليه الصحابة أن يسجدوا له : (لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا لله رب العالمين) ، وأن معاذاً سجد للنبي صلى الله عليه وسلم) فنهاه عن ذلك . قال ابن عطاء : لما استعظموا تسبيحهم وتقديسهم أمرهم بالسجود لغيره ليربهم بذلك استغناء عنهم وعن عبادتهم .

{ فَسَجَدُوا } ، ثم : محذوف تقديره : فسجدوا له ، أي لآدم . دل عليه قول : { اسْجُدُوا لِلَّهِ } ، واللام في لآدم للتبيين ، وهو أحد المعاني السبعة عشر التي ذكرناها عند شرح { الْحَمْدُ لِلَّهِ } . { إِلَّا لِلَّهِ } . هو مستثنى من الضمير في فسجدوا ، وهو استثناء من موجب في نحو هذه المسألة فيترجح النصب ، وهو استثناء متصل عند الجمهور : ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب وقتادة وابن جريج ، واختاره الشيخ أبو الحسن والطبري ، فعلى هذا يكون ملكاً ثم أبلس و غضب عليه ولعن فصار شيطاناً . وروى في ذلك آثار عن ابن عباس وقتادة وابن جبير ، وقد اختلف في اسمه فقيل : عزازيل ، وقيل : الحارث . وقيل : هو استثناء منقطع ، وأنه أبو الجن ، كما أن آدم أبو البشر ، ولم يكن قط ملكاً ، قاله ابن زيد والحسن ، وروى عن ابن عباس . وروى عن ابن مسعود وشهر بن حوشب : أنه من الجن الذين كانوا في الأرض وقتلتهم الملائكة ، فسبوه صغيراً وتعبد مع الملائكة وخوطف معهم ، واستدل على أنه ليس من الملائكة بقوله تعالى : { جَاءَ عِلِّيُّونَ الْمَلَائِكَةُ رُسُلًا } فعم ، فلا يجوز على الملائكة الكفر ولا الفسق ، كما لا يجوز على رسله من البشر ، وبقوله : { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } ، وبقوله : { كَانَ مِنَ الْجِنِّ } ، وبأن له نسلاً ، بخلاف الملائكة ، والظاهر أنه استثناء

متصل لتوجه الأمر على الملائكة ، فلو لم يكن لما توجه الأمر عليه ، فلم يقع عليه ذم لتركه فعل ما لم يؤمر به . وأما جاعل الملائكة رسلاً ، ولا يعصون إلا ما أمرهم ، فهو عام مخصوص ، إذ عصمتهم ليست لذاتهم ، إنما هي يجعل الله لهم ذلك ، وأما إبليس فسلبه الله تعالى الصفات الملكية وألبسه ثياب الصفات الشيطانية . وأما قوله تعالى : { كَفَّانَ مِنَ الْجِنَّةِ } ، فقال قتادة : هم صنف من الملائكة يقال لهم الجنة . وقال ابن جبير : سبط من الملائكة خلقوا من نار ، وإبليس منهم ، أو أطلق عليه من الجن لأنه لا يرى ، كما سمي الملائكة جنّة ، أو لأنه سمي باسم ما غلب عليه ، أو بما كان من فعله ، أو لأن الملائكة تسمى جنّاً . قال الأعشى في ذكر سليمان على نبينا وعليه السلام :